

دوافع الزواج

السلوك نابغ من دافع.

فالباحث عن كأس الماء يحركه دافع العطش، والراكض
اللاهث فراراً من السبع يحركه حب البقاء، وهكذا ينبع
سلوك الناس من دوافعهم.

وعندما لا يلبي السلوك الدافع يبحث المرء عن سلوك
آخر يلبي دوافعه.

والزواج سلوك يسعى له الناس لتروية دوافعهم، يتفقون
في أمهاتها وينفرد بعضهم بدوافع خاصة، وعندما لا يلبي
الزوج دوافع زوجته أو لا تروي الزوجة دوافع زوجها يبحث
كل منهما عن سلوك آخر استجابة للدافع.

لماذا يتزوج الشاب...؟ ما الذي يدفعه؟

ولماذا تتزوج الفتاة...؟ ما الذي يدفعها؟ هذا ما ستتناوله هذه المحاضرة.

وتكمن أهمية هذه المحاضرة في أمرين:

١- تعريف الشباب والفتيات بالدوافع التي تدفع الطرف الآخر للزواج.

٢- يذهب بعض الشباب والفتيات نحو الزواج بدوافع غير صحيحة، أو يتوقعون توقعات مبالغاً فيها، ستساعدهم المحاضرة على حذف الدوافع الخطأ وتعديل التوقعات المبالغ فيها.

-دوافع الزواج-

للزواج ستة دوافع رئيسة:

(١) الدافع الديني:

يدفع قول الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ...﴾ [النور: ٣٢].

وحديث رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج...»^(١). عددا من الشباب والفتيات للزواج.

(١) متفق عليه.

يَحْرَكُهُم الدِّينَ وَتَدْفَعُهُم السُّنَّةُ فَإِذَا اصْطَدَمُوا بِطَرْفِ
آخِرٍ لَا يَقِيمُ لِلدِّينِ وَزَنَا فَسْتَقَعِ الْأُسْرَةَ فِي مَا لَا يَرْضَى؛
لَأَنَّ أَحَدَهُمَا يَنْظُرُ إِلَى أَوَامِرِ اللَّهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مَعَ الْأُسْرَةِ،
لَكِنَّ الْآخَرَ لَا يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ.

بِالدَّافِعِ الدِّينِيِّ تَتَجَمَّلُ الزَّوْجَةُ لَزَوْجِهَا تَرْجُو بِذَلِكَ
ثَوَابَ رَبِّهَا وَرِضَا زَوْجِهَا، وَيُنْفِقُ الزَّوْجُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ يَقْصِدُ
بِذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَى أَهْلِهِ...،
وَهَكَذَا يَحْمِلُ الدَّافِعُ الدِّينِيُّ كِلَا الزَّوْجَيْنِ عَلَى بَرِّ صَاحِبِهِ،
وَسَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ، وَيُضْفِي عَلَى الْبَيْتِ رُوحَ السَّكِينَةِ
وَالِاسْتِقْرَارِ.

فَإِنْ كَانَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ مُفْتَقِدًا لِهَذَا الدَّافِعِ لَزِمَ الْآخَرُ أَنْ
يَذْكُرَهُ بِهِ وَيُدْفَعَهُ نَحْوَهُ.

(٢) الدافع الاجتماعي:

ينظر المجتمع السوي إلى العزب على أنه برتبةٍ دون رتبة المتزوج، فيستغربُ حالَ رجلٍ جاوز الثلاثين سنة ولم يتزوج، ويسأله: لماذا؟! ويستغرب حال فتاة جاوزت الخامسة والعشرين ولم تتزوج، ويسأل: لماذا؟!

فيعمل الضغط الاجتماعي على حمل عددٍ لا بأس به من الناس على الزواج.

وجديرٌ بالذكر أنَّ الدافع الاجتماعي يحمل الزوج على عدم قَطْع أواصرِ الصلة بالمجتمع عن زوجته بغير عذر مبرّر، فبعض الأزواج يمنعون زوجاتهم من التواصل مع المجتمع، مهما كانت الصلة: لا يأذنون بصلة أهل، ولا جارات، ولا بنات عم أو عمة، أو خال أو خالة...، يريدون أن يقطعوا كل تواصل، حتى عن طريق الهاتف!

ولعل الزوجة هي من تطلب هذا من زوجها، فتريد قطع علاقاته مع أسرته، وأقاربه، وجيرانه...، أو تسعى لإفساد هذه العلاقات.

إن الإنسان اجتماعي بفطرته، فلا يليق بالرجل أن يقطع أواصر الصلة المشروعة بالمجتمع عن زوجته، ولا يليق بالزوجة أن تسعى لقطع هذا التواصل المشروع عن زوجها. وهذا محمول على عدم وجود سبب شرعي أو عقلي لمنع هذه العلاقات، أما إن وُجد السبب كسوء خلق جارة مثلاً، أو فسقها، ونحو ذلك، فالمطلوب القطيعة لا الوصل.

إن قطع العلاقات الاجتماعية المشروعة عن زوج أو زوجة تزوجا يدفعهما الدافع الاجتماعي سيورث الضغائن بين الزوجين ويجعل استمرار الأسرة في خطر.

ومن نماذج العلاقات الاجتماعية غير المشروعة وغير الصحيحة استقبال الزوجة أخا زوجها، أو غيره من الرجال الغرباء وهي وحدها في البيت! قال رسول الله ﷺ: «الحمو الموت»^(٢).

والنبي ﷺ يقول: «إياكم والدخول على النساء»^(٣)، ويقول: «ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»^(٤).

(٢) متفق عليه. الحمو: أخو الزوج وأقاربه.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه الترمذي.

٣) دافع الوالدية (الأبوة والأمومة):

هذا الدافع من أقوى الدوافع عند الإنسان، وهو عند المرأة أقوى منه عند الرجل، ولعلَّ بعض الفتيات يتزوَّجن بقصد الإنجاب وحسب، بهدف أن تحمل ولداً يقول لها: يا أمي.

فإذا منع الزوج زوجته من هذا الحق، وأراد تأخير الإنجاب سنوات لظروف معيَّنة، أثّر سلباً على هذا الدافع، الأمر الذي أثّر سلباً على حياتهما الزوجية.

كذلك يُحبّ الرجل أن يكون أباً، ويدفعه ذلك إلى الزواج، فيتفاجأ بزوجة لا تحبُّ الحمل؛ حتى لا يتغيّر شكلها، ولا تفقد رشاقتها، أو لئلا تُضَيِّع كثيراً من وقتها في البيت مع أولادها...!!

هذه الصور ستودي بالبيت عاجلاً أو آجلاً إلى مشكلة كبيرة.

ومن هنا حرّم الشرع تحديد النسل؛ بمعنى صدور قانون في دولة ما يمنع إنجاب أكثر من ولد، أو ولدين أو أكثر. وأباح تنظيم النسل بمعنى اتفاق الزوجين على اختيار عدد من معين من الأولاد.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كُنَّا نَعْزُلُ عَلَى عهد النبي صلّى الله عليه وآله والقرآن ينزل»^(٥)، يعني نَعْزِلُ عن نسائنا. والعزل تنظيمٌ للنسل.

(٥) متفق عليه.

ويجدر بالذكر حرمة طُرُق منع الحمل التي تسبب العقم كاستئصال الرَّحِم، أو استئصال المِبيضَيْن، أو البوقين، ما لم يكن السبب طبيّاً مُلجئاً.

(٤) الدافع الجنسي:

هو الميل الجسدي للرجل نحو المرأة وميلها نحوه، وحاجة كلٍّ منهما للآخر، وهو أمرٌ فَطَرَهُ اللهُ تعالى في الرجال والنساء، ومَن لم يجد ذلك في نفسه فعليه مراجعة الأطباء. وقد أجرى الإسلام هذا الأمر في أقنية شرعيّة، وسلّكه مسالك نظيفة، هي الزواج؛ ليجد كلٌّ من الزوجين كفايته فيه، فإن تخلّف أحد الزوجين عن أداء حقِّ الآخر في هذا الأمر فقد خالف أمر الله تعالى، وقصر بحق صاحبه.

قال رسول الله ﷺ : «إذا باتت المرأة هاجرةً فراشَ زوجها لعنتها الملائكة حتى تُصبح»^(٦).

لأن الزوجة إن لم تُحصن زوجها يُخشى أن يتَّجه إلى ما لا يحل له، وتبوء بإثمه لجهلها وخطئها، فليس لها أن تنشغل عنه أيّاً كان الشاغل، حتى وإن كان عبادةً.

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية -رضي الله عنها-، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: (بأبي أنت وأمي، أنا وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعتُ بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي.

(٦) متفق عليه.

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ كَافَةً، فَأَمَّا بَكِ
وَبِإِهْلِكَ، وَإِنَّا -مَعِشَرُ النِّسَاءِ- مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ،
قَوَاعِدُ بَيْوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهْوَاتِكُمْ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ،
وَإِنكُمْ -مَعِشَرُ الرِّجَالِ- فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعِ وَالْجُمَاعَاتِ،
وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَشَهَادَةِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ
مَنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ الرِّجُلَ مِنْكُمْ
إِذَا خَرَجَ حَاجِبًا أَوْ مَعْتَمِرًا أَوْ مَرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ،
وَعَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابَكُمْ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نَشَارِكُكُمْ فِي
الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ:
«هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالََةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ فِي مَسْأَلَتِهَا عَنْ
أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ظَنُّنَا أَنَّ
امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا!!

فالتفت النبي ﷺ إليها، فقال: «انصرفي -أيتهـا المرأة- وأعلمي من خلفك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجهـا، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله» قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً^(٧).

فتجمل المرأة لزوجهـا واجب تنال به أجراً عظيماً، على حين أن إهمالها زوجها وانصرافها عنه يوقعها في الإثم. ومثل هجر المرأة زوجها هجر الرجل زوجته من دون مبرر، كلاهما إثم محرّم.

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء -رضي الله عنهما-، فزار سلمان

(٧) البزار في "مسنده"، والبيهقي في "الشعب".

أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَدِّلَةً، فقال لها: ما شأنك؟
 قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء
 أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال: كُلْ، قال: إني صائم
 قال سلمان: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأَكَلْ.

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال سلمان:
 نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر
 الليل قال سلمان: قم الآن، فصلّى، فقال له سلمان: إن
 لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك
 حقاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ.

فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي
 ﷺ: «صدق سلمان»^(٨).

(٨) أخرجه البخاري والترمذي.

نعم، لأهلك عليك حق؛ لأن حاجة المرأة إلى الرجل
حاجةً فطريّةً، وحاجة الرجل إلى المرأة كذلك فطرية.

يقول الإمام الغزالي: (إن الزواج يساعد -الرجل والمرأة-
على التحصّن عن الشيطان، وكسّر التوقان -يعني: ميل
النفس الشديد- ودفع غوائل الشهوة، وغَضّ البصر،
وحفظ الفرج)^(٩).

ومع كل هذه الأهمية التي أولاها الشرع لهذا الميل
الفطري، إلا أنه من الخطأ أن يُجعل هذا الدافع هو الدافع
الوحيد للزواج، فقد لوحظ عدم استمرار الزيجات القائمة
على هذا الأمر منفرداً في الغالب، والذي نراه على
الشاشات الفضائية السافرة، أو المجالات الماجنة من
تضخيم لشأن هذا الميل دعا بعض الشباب والفتيات

(٩) ينظر "إحياء علوم الدين" [٢٧/٢].

بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى اعتقاد نظرية فرويد التي ثبت بطلانها: (أنَّ الإنسان يعيش لقضاء شهوته الجنسية وحسب)، الأمر الذي أدَّى إلى دمار كثير من البيوت والأسر.

٥) الدافع النفسي:

وهو مجموعة من المكنونات النفسية التي تدعو الشاب والفتاة للزواج، منها:

● الحاجة إلى الحب:

فالإنسان يحب أن يُحِب ويحب أن يُحِب، وينسحب من كل مكان يستطيع الانسحاب منه إن لم يجد من يحبه.

ومن هنا -والله أعلم- كان النبي ﷺ يُظهر حُبّه لزوجته
 (قيل: يا رسول الله، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قال:
 «عائشة»...) (١٠).

إذا لم يَشْعُر الرجل بأنَّ زوجته تحبُّه، وتقدره، وتحترمه،
 ولم تُشعره زوجته بأهميته، وبأنَّه سيّد البيت، وبأنَّه صاحبُ
 مكانةٍ عندها، وأنها تنتظره من حين لآخر حتى يأتي...

وإن لم تَشْعُر الزوجة بحبِّ زوجها لها، وتقديره لجهداتها،
 واحترامه لذاتها، فقد أخلَّ كلُّ منهما بهذا الدافع النفسي،
 ومع مرور الأيام ستؤول الأسرة إلى النزاعات.

(١٠) أخرجه الترمذي.

الحاجة إلى التقدير:

يحتاج الرجل إلى مَنْ يُقدِّره، ويحترمه، ويستشيرَه، وكذلك المرأة تحتاج لزوج يقدرها، ويحترمها، ويسأل عنها بحبٍّ وحنان.

أحياناً تُعيد الزوجة ترتيب أثاث البيت فلا يأبه الزوج لعملها، تعد أطيب الطعام فلا يشكر سعيها، تشعل أصابعها العشرة ولا يلتفت لإطفائها. كل هذا يشعرها بعدم الاحترام وعدم التقدير.

مع الأيام ستهتُر الأسرة بالخلافات؛ لأنّ المرأة تزوّجت باحثة عن ملئ الدافع النفسي، تحتاج لمن يقدرها، لمن يحترمها، لمن يراعي قراراتها ويراعي شأنها، إلا أن الزوج لم يكثر بذلك!!

أو العكس: المرأة تخطّط وتنقّذ، وتغدو وتروح من غير إذن زوجها، من غير أن تكثرث به، يأتي الرجل بعد عمّله إلى بيته فلا يجد زوجته! يسألها مساءً، تجيب: ذهبتُ لبعض شأني، أو: لديّ أمرٌ تابعته!!

سيشعر الزوج عندها بعدم الاحترام والتقدير في بيته، ولعلّه اليوم يسكّت عن ذلك، لكن تراكمات هذه المواقف ستؤقع البيت في مشكلة كبيرة.

• الهرب من الوحدة:

الإنسان جمعيّ بفطرته، يأنس بالناس ويأنسون به، فلا يستطيع العيش منفرداً، والهرب من الوحدة أحد دوافع الزواج.

فتاة وحيدة في أسرتها، يخرج أبوها إلى العمل، وتذهب أمها إلى بيوت أقاربها، لتبقى الفتاة وحيدة في البيت.

ستتضايق هذه الفتاة من الوحدة وتَتَضَجَّر منها، فتَتَطَلَّع نحو الزواج لتشعر بالأنس مع زوج يجتمع معها، ويجالسها، ويُكَلِّمها، ويذهب ويأتي معها.

لكن المشكلة كلّ المشكلة أن تُبتلى بزواج يخرج من الساعة السادسة صباحاً إلى عمله ليعود في العاشرة ليلاً!

لا بد أنها بعد حين ستطلب الطلاق؛ لأنها إنما تزوجت هرباً من الوحدة، فجاءها زوج سيُذيقها الوحدة سنوات أخرى، إنها لن تقبل بذلك أبداً.

٦) الزواج لدوافع خاصة:

يتزوَّج بعض الناس متأثرين بدوافع خاطئة من دون التفكير بغيرها، وهذا وهمٌ وخَلَلٌ فكريّ كبير، وأتمنى على من وقع في ذلك أن يصحّح نيّته ويطلب من الله تعالى التوفيق للصواب.

فمن الأسباب الخاصة:

● الحصول على المال:

كأن تتزوج الفتاة شاباً بهدف أن يَكْثُرَ المال بين يديها، أو يزوجه أبوها من فلانٍ لأنّ ماله كثير، وستنعم معه في ماله، دون النظر إلى أخلاقه ودينه وعلمه وسلوكه. يقول النبي ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها» إذا اجتمعت الأربعة فبها ونعمت، ولكن إذا أردنا أن نُفاضل «فاظفر بذات الدين ترِبَ يداك»^(١١). اختر الملتزمة بدينها تريح.

جاء في الحديث: «من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله تعالى إلا فقراً،

(١١) متفق عليه.

ومن تزوّجها لحُسْنِها لم يَزِدْه الله تعالى إلا دناءة، ومن تزوّج امرأة ليغضّ بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه فإن ذلك منّة، وبورك له فيها، وبارك الله لها فيه»^(١٢).

إذا كان الدافع إلى الزواج هو الحصول على المال وحسب أو على الجاه وحسب دون النظر إلى أمر الدين فإن عواقب الأمر لن تكون مرضية في الغالب.

أُقيم في أحد الفنادق خلال ستة أشهر ستة عشر حفل زواج، كلّف الواحد منها الملايين، اتّصلت إدارة الفندق بعد ستة أشهر بأصحاب هذه الحفلات ليباركوا لهم، فوجدوا أنّ ثلاث عشرة عائلة من هذه العائلات الست عشرة قد طُلّقت، وبقيت ثلاث عائلات!!

(١٢) الطبراني وابن النجار.

● طلب الشهرة.

وتُطلب الشهرة بالاقتران برجل مشهور، أو بالاقتران بامرأة مشهورة، وإذا قصد الشاب والفتاة الزواج لأجل هذا الأمر وحده؛ فهذا خطأ كبير أيضاً.

● الزواج للنكاح.

كم من رجل يتزوج على زوجته إضراراً ونكاحاً وكيداً بها، وقد تعلم الزوجة الثانية هذا الأمر، إلا أنها لا تكترث به، وتطمع بفرصة الزواج المتاحة لها.

إذا علمت الفتاة أنَّ دافع الشاب هو النكاح بزوجه الأولى لا غير، فلتعلم أنه على الأرجح سيُطْلَقُها عندما تنتهي هذه النكاح وتعود الأمور إلى مجراها، ولعل ذلك يكون بعد أشهرٍ قَلْبٍ أو تَكْثُر.

وبعد: فهذه هي دوافع الزواج الستة، والغالب أنَّ كُلَّ شابٍّ أو فتاة يتزوجان تتعدّد دوافعهما، فيمتزج دافعان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة مع بعضها، لكن يرجّح واحدٌ على آخر، وكُلُّ هذه الدوافع مشروعة محمودة، إلا دوافع الأسباب الخاصة فإنها غير محمودة ولا مشكورة.

كيف تعرف دوافع الآخرين؟

- بسؤالهم المباشر
 - بمراقبة تصرفاتهم وسلوكياتهم
 - بالنظر إلى اهتماماتهم
 - بالنظر في بيئتهم العائلية والاجتماعية
- ### كيف تعبر عن دوافعك؟

- بالكلام المباشر وغير المباشر
- بالرسالة (إما كتابة وإما صورة) أو بالرسم

والله تعالى أعلم.